ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٤٣٥) / عبد الحليم الغزّي
صولة القمر (ج٥٥)
حديث الحقيقة ومنطق الانصاف (ق١)
الثلاثاء : ٢٥/شوال/١٤٤٤هـ - الموافق ١٦/٥/٢٠٢٣م

رسالةٌ وصلتني قَبلَ عدَّة أشهُر ووعدتُ صاحبها بعدَ مُكالَمة عبرَ التليفون أن أُجيبَ على طَلبه الَّذي وَجَّههُ إليَّ، أُسَجِّلُ اعتذاري لَهُ وللَّذينَ كانوا يَنتظرونَ جوابي من أصدقائه، وأقولُ لَهُ: صَدِّقني لم أجد فُرصةً، إنَّني سَرقتُ هذه الفُرصةَ من بَينِ هذه الحلقات الَّتي أُقَدِّمها في هذه الأيام، رِسالتهُ مُهمَّةٌ جدَّاً، قد تكونُ الرِّسالةُ شَخصيَّةً لكنَّها تُنبئ عن واقعٍ منتشرٍ.

صَاحبُ الرِّسالة وهُوَ الَّذي طَلبَ منّي ألا أذكُرَ اسمه، صاحبُ الرِّسالة سُنيٌّ ليسَ شيعياً مصريٌّ، يقولُ: إنَّني تَعبتُ من مُتابعة البرامج على الفضائيّات وعلى المواقع الإلكترونيّة، تَعبتُ من مُتابعَة ما يَقُولُهُ السُنَّة وما يَقُولُهُ الشيعَة، فتارةً أجدُ الحقَّ معَ السنَّة فيما يقولون، وتارةً أجدُ الحقَّ معَ الشيعة فيما يقولون، فأصبحتُ في مَتاهة لا أعرفُ رأسي من قَدمي، وحينما أجدُ الحقَّ معَ الشيعة تُثَارُ عندي أسئلةٌ لا أَجدُ لها جواباً، وحينما أعودُ كي أجدَ الحقَّ عندَ السُنَّة تُثَارُ أسئلةٌ لا أجدُ لها جواباً، أصبحتُ لا أثِقُ لا بما يقُولُهُ السُنَّةُ ولا بما يَقُولُهُ الشيعةُ، ويقولُ من أنَّ كثيرينَ من أمثالي في مصر أو في الدول العربيّة في شمال أفريقيا، بحسبِ ما أخبرني إنَّهم يتواصلونَ عبرَ الإنترنت.

فماذا تُريدُ منّي؟ هكذا سألتهُ.

قالَ: لا أريدُ شيئاً، إنَّما أردتُ أن أتَحدَّثَ مَعك، إذا كُنتَ قادراً على أن تُحَقِّق لي طلبي إنَّني أُريدُ دليلاً منَ اللّه، لا أريدُ دليلاً لا منَ السُنَّة ولا منَ الشيعة، أريدُ دليلاً من اللّه، لقد لجأتُ إليه ودعوتهُ وما وجدتُ استجابةً لدُعائي، فأنا حائر، وتوقَّفتُ عن كُلِّ شيء، فَإنَّني لا أعتقدُ لا بدين السُنَّة ولا بدين الشيعة.

سألتهُ: هل تعتقدُ أنَّ القُرآنَ من اللّه أم أنَّكَ لا تعتقدُ بذلك؟

قال: إنّي أعتقدُ من أنَّ القُرآنَ منَ اللّه.

وعدتهُ أن أُجيبَهُ من قُرآن اللّه كما يعتقدُ هُو، بعيداً عمَّا يَقُولُهُ السُنَّةُ، وبعيداً عَمَّا يَقُولُهُ الشيعة، فهذا الجوابُ لَهُ ولأمثاله ممَّن هُمُ على هذه الشاكلة، ويبدو أنَّ الأعدادَ بدأت تتكاثر في واقع المسلمين على هذه الجديلة، على هذه الطريقة، إنَّني أعرِضُ بينَ يدي السائل وبينَ يدي الَّذينَ يُريدونَ أن ينتفعوا من هذا الحديث ولا أفترِضُ أنَّني سأُقيمُ الحُجَّةَ على أحد، كلامي هذا بمثابة اقتراح، بمثابة مَشروعٍ للتفكير بالنسبة لهؤلاء الَّذينَ حالُهم كحال صاحب الرسالة وصاحب هذا الطلب.

إذا اتَّفقنا على أنَّ القُرآنَ كتابٌ منَ اللّه، بعيداً عن السُنَّة وما يقولون وبعيداً عن الشيعة وما يقولون، إذا تَفحَّصنا هذا الكتاب - أتحدَّثُ عن القرآن - فأقولُ بالإجمال:

هُناكَ مستوىً في القرآن أخبرنا القرآنُ عنه؛ "من أنَّني أنا وأمثالي لا نستطيعُ الاقترابَ منه"، مثلما جاء في الآية السابعة بعدَ البسملة من سورة آل عمران:

- ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّه**﴾، بحسبِ قراءة السُنَّة.
- ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، بحسبِ قراءة الشيعة.

وبغضّ النَّظرِ عن القراءتين، الآيةُ تتحدَّثُ عن تأويل القُرآن هذا المستوى أنا لا أستطيعُ أن أقتربَ منه، هذا المستوى لا شأنَ لَنا به.

هُناكَ مستوىً في القرآن أستطيعُ أنا وأنتُم أن نَقترب منه، القرآنُ تَحدَّثَ عنهُ في أربع آيات، إنَّها آياتُ التدبّرِ في القرآن، هذا المستوى أستطيعُ أنا وأنتُم ويستطيعُ السائلُ والَّذينَ في نفس الحالة الَّتي فيها السائل يستطيعونَ أن يتواصلوا مع القُرآن في هذا المستوى في مستوى التدبّر، لا أريدُ أن أخوضَ في خصائص التدبّر، وإنَّما أتحدَّثُ عن التدبّرِ بشكلٍ إجمالي، لأنَّني أُحدِّثكُم بعيداً عَمَّا يتحدَّثُ به السُنَّة، وبعيداً عَمَّا يتحدَّثُ به الشيعة.

في سورة المؤمنون، الآية الثامنة والستين بعدَ البسملة: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾، في الآية السادسة والستين بعدَ البسملة من سورة المؤمنون: ﴿**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ** - مَجالسُ سَمَرٍ - **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾، إلى آخرِ الآيات الَّتي هي في السياق نَفسه، هذه الآياتُ تتحدَّثُ عن تَدبُّرٍ جزئي، القُرآنُ يتألَّفُ من سُورٍ، والسورُ تتألَّفُ من آيات، فَهُنا الكلامُ عن تَدبُّرٍ في آيات، "**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**"؛ الَّذي كانَ في تلكَ الآيات، هذا تَدبُّرٌ جُزئي، إنَّهُ تَدبُّرٌ في بعض آيات الكتاب.

المضمونُ هُوَ هُوَ في سورة ص، الآيةِ التاسعة والعشرين بعد البسملة: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ** - لماذا؟ - **لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** - إنَّهُ تَدبّرٌ في آيات الكتاب تَدبّرٌ جُزئي..

في سورة النساء، الآية الثانية والثمانين بعدَ البسملة، الحديثُ هُنا عن التدبُّرِ في القُرآن كُلِّه، إنَّهُ تَدبّرٌ كُلِّيّ: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** - لَيسَ هُناكَ من ذكرٍ للآيات الَّتي تُمثِّلُ جُزءاً منَ القُرآن، قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ الآيةَ تَصدُقُ أيضاً على التدبُّرِ في الآيات، وهذا صحيحٌ فأنا لا أرفُضُ هذا المعنى، لكنَّ المعنى الأعلى، والمعنى الأوَّل في الآية إنَّهُ التدبُّرُ في القُرآن كُلِّه، في المنظُومَة القُرآنيّة كُلِّها، في النِّظام القُرآني - **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** - الحديثُ عن المنظُومَة كُلِّها، لوجدوا في النِّظام القُرآني كُلِّه..

في سورة مُحَمَّد صَلَّى اللّهُ عليه وآله، الآية الرابعة والعشرين بعد البسملة: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾، قد يقولُ قائلٌ: من أنَّ الآية يُمكنُ أن تَصدُقَ على التدبّرِ في الآيات في السورِ بالنحو الجزئي، وأنا لا أرفضُ هذا المعنى، لكنَّ المعنى الأعلى والمعنى الأوَّل إنَّهُ تَدبّرٌ في القُرآن كُلِّه في النظام القرآني..

هذه الآياتُ الَّتي تَحدَّثت عن التدبُّرِ في الكتاب الكريم وهُو المستوى الَّذي أستطيعُ أنا وأنتُم وصاحبُ السؤال ومَن على شاكلته نستطيعُ جميعاً أن نتواصلَ معَ القُرآن في هذا المستوى، ولاحظتُم وبنحوٍ واضح من أنَّ التدبُّرَ مَرَّةً يأتي بنحوٍ جزئي، ومَرَّةً يأتي بنَحوٍ كُلِّي، فَهُناكَ مُستوى نستطيعُ أن نتواصلَ وفقاً لهُ معَ القرآن وهُو التدبّر.

سأذهبُ مُتدَبِّراً بمستوى التدبُّرِ الكُلِّي؛

التدبّر الكُلِّي سيقودني كذلكَ إلى تَدبُّرٍ جُزئي، وإلَّا لن يكونَ الكلامُ مَنطقيّاً، لأنَّنا نَتدبَّرُ في بادئ الأمرِ في المنظُومَة كُلِّها، حينما نُريدُ أن نُطَبِّقَ نتائجَ التدبُّرِ في المنظُومَة كُلِّها لابُدَّ من تطبيقِ تلكَ النتائج وفقاً للتدبُّر الجزئي، أن نَذهبَ إلى الآيات، أن نذهبَ إلى السورِ وأن نَقفَ عندَها كي نصلَ إلى النتيجة المطلوبة، فَنحنُ بحاجةٍ إلى النَّوعينِ منَ التدبُّر، لكنَّ البدايةَ تكونُ من التدبُّرِ الكُلِّي في المنظُومَة القُرآنيّة بكاملها.

إذا نظرنا إلى القُرآنِ من أوَّله إلى آخره فإنَّ القُرآنَ تَحدَّثَ عن أُمَمٍ كثيرة وتَحدَّثَ القُرآنُ عن شَخصيَّات كثيرة بِغَضِّ النَّظرِ هذه الشخصيَّاتُ تُمثِّلُ الخَيرَ أو أنَّها تُمثِّلُ الشَّر، وتَحدَّثَ القُرآنُ عن مجموعات إنَّهُ صَنَّفَ البَشَر وصَنَّفَ الأُمَمَ وصَنَّفَ أهلَ الدِّين، وأنا لا أُريدُ أنْ أتناولَ كُلَّ ذلك، فَهذا كلامٌ طويلٌ..
أذهبُ إلى مَا تَحدَّثَ عنهُ القُرآنُ فيما يرتبطُ بِنَبِينا الأعظم صَلَّى اللّهُ عليه وآله، حَولَ نَبِينا هُناكَ ثلاثُ مجموعات، هذه المجموعاتُ واضحةٌ جِدّاً في الكتاب الكريم، لا شأنَ لنا الآنَ بالأُمَم السابقة، ولا بأهل الكتابِ، ولا بالأنبياء السابِقين، حَديثُنا عَن نَبِينا، هُناكَ ثلاثُ مجموعاتٍ بشكلٍ واضحٍ جِدّاً حولَ رَسولِ اللّه:

• مجموعةُ الصَّحابة.

تَحدَّثَ القُرآنُ عن هذه المجموعة، وحينما تَحدَّثَ القُرآنُ عن هذه المجموعة مرّةً مَدَحَهُم ومَدَحَهُم مَدْحاً واضحاً، ومَرّةً ذَمّهم وذَمّهم ذَمّاً واضحاً، فالقرآنُ تَحدَّثَ عن هذه المجموعة وذكرَ المنافقينَ من ضمنِ هذه المجموعة، سورةُ التوبة واضحةٌ بهذا الخصوص ولذا تُعرَفُ بينَ المسلمين بَينَ السُنَّة والشيعة بالسورة الفاضحة، أدنى مُراجعة وأدنى تَدبُّرٍ في سورة التوبة تَتَّضحُ هذه الحقيقة؛ "من أنَّ السورةَ فضحت الصَّحابة"، فضحت الَّذينَ كانوا حولَ رسولَ اللّه إن كانوا في المدينة أو كانوا في غَيرِ المدينة، هذه المجموعةُ الأولى مَجموعةُ الصَّحابة، القُرآنُ مَدحَها تارةً وذَمّها تارةً أخرى.

• المجموعةُ الثانية: نساءُ النَّبي صَلَّى اللّهُ عليه وآله.

نساءُ النَّبي ذُكِرنَ في القُرآن لكن لَيسَ بتلكَ الكثرة الَّتي ذُكِرَ الصَّحابَةُ بها، ونساءُ النَّبي مَعدوداتٌ في الصَّحابَةِ أيضاً، ولكنَّني سأجعلُ حَدّاً فاصلاً فيما بينَ الصَّحابةِ ونساء النَّبي، نساء النَّبي القرآنُ مَدحَهُنَّ، والقُرآنُ ذَمَّهُنَّ أيضاً، وهذا واضحٌ في آيات الكتاب الكريم.

• المجموعةُ الثالثة: مجموعةُ القُربى.

هذه المجموعةُ لم تُذَم، وإنَّما مُدحت فقط بل جعلَ القُرآنُ أجر الرِّسالَة مَحصُوراً بمودَّتها، نحنُ لا نتحدَّثُ عن قُربى عشائريَّة، القُربى العشائريَّةُ لا معنى لها هنا، فإنَّ أبا لهبٍ عمُّ النَّبي ولكنَّهُ ذُمَّ ذَمّاً شَديداً في الكتاب الكريم، وسورةٌ خاصَّةٌ به وبزوجته أُمِّ جميل، زوجتهُ أُمُّ جميل، زوجتهُ أُمُّ جميل هذه عَمَّةٌ معاوية، إنَّها أُختُ أبي سفيان زوجةُ أبي لهب، القُربى بالمعنى العقائدي، ولذا فإنَّ أجر الرسالة جُعِلَ في مَودَّتهم مثلما جاء في سورة الشورى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، إنَّني ما استعملتُ مصطلحَ (أهل البيت)، لأنَّ مُصطلحَ (أهلَ البيت)، لهُ دلالةٌ عندَ الشيعة ولهُ دلالةٌ عندَ السُنَّة، والسُنَّةُ يُدخِلُونَ نساء النَّبي في هذا المصطلح، أمَّا القُربى لا يستطيعُ سُنِّيٌ أن يُدخِلَ نساءَ النَّبي في هذا المصطلح ومن هُنا استعملتُ هَذا المَصطلحَ، إنَّني أتَحدَّثُ عن السُنِّي الَّذي هو على عِلمٍ وعلى فهمٍ وعلى إنصاف، لا أتحدَّثُ عن الجُهَّال ولا أتحدَّثُ عن أولئكَ الَّذينَ لا يَملكُونَ إنصافاً.
القُربى عُنوانٌ خاصٌ بمجموعة جُعلَت مَودَّتُهم أجراً للرِّسالة، وكانَ النَّبيّ الأعظمُ صَلَّى اللّهُ عليه وآله يَصعَدُ على المنبر ويقولُ للمُسلمين: (لَعَنَ اللّهُ مَنْ مَنَعَ الأَجِيرَ أَجْرَهُ وَأَنَا أَجِيرُكُم)، لا يُمكنُ أن نتخيَّلَ أنَّ القُرآنَ يأمرُ بمودَّةٍ واجبةٍ لأشخاصٍ يُمدَحُونَ تارةً، ويُذَمّونَ تارةً أخرى..

• نبدأُ من حديث القُرآنِ عن الصَّحابة.

هكذا يَقولون وهي حَقيقةٌ: "من أنَّ الأسئلةَ تَكشفُ عن أسرارِ أصحابِها"، فالسؤالُ حينما يَصدُرُ من سائلٍ يَكشفُ عن مَضمونِ ذَلكَ السائل، يكشفُ عن مستوى حكمته، يكشفُ عن مستوى مَعرفته، يكشفُ عن مستوى جَهله، يكشفُ عن مستوى سفاهته، الأسئلةُ الَّتي سألها الصَّحابةُ حَدَّثنا عنها القُرآن، ومن خلالِ هذه الأسئلة يُمكننا أن نستكشفَ المستوى العلمي لهؤلاء الصَّحابةَ، لأنَّنا حينما سنتحدَّثُ عن القُربى نَجِدُ أنَّ القُرآنَ يُخبِرنا أنَّ حقائقَ القُرآنِ عندَ القُربى، مَن القُرآن، لن أعودَ إلى ما تقولُهُ السُنَّةُ ولن أعودَ إلى ما تَقولُهُ الشيعة، منَ القُرآنِ فقط، وليسَ في مستوى التأويل فنحنُ لا نستطيعُ أن نتواصلَ معَ القُرآنِ في هذا المستوى، في مستوى التدبُّر، ومستوى التدبُّرِ هذا لابُدَّ أن يكونَ مَحكُوماً بقواعدِ البلاغةِ العربيّة، وبقواعدِ المنطق السَّليم للفكر الإنساني، وبالبديهيات العَقليّة الَّتي يَتَّفقُ عليها الجميع، وإلَّا سوفَ لا يكونُ تَدبُّراً سَليماً..

في الآيةِ التاسعة والثمانين بعدَ المئة بعد البسملة من سورة البقرة، لن أذهبَ في تفاصيل الآيات، وإنَّما أقرأُ عناوينَ الأسئلة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾، إلى آخرِ الآيةِ الكريمة، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّة**﴾، هذا سؤالٌ من أسئلة الصَّحابة.
وفي سورةِ البقرة، الآيةِ الخامسةِ بعد العاشرة بعد المئتين بعدَ البسملَة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾، إلى آخر الآية.
- إذاً هُناكَ سُؤالٌ عن الأهلّة.
- وسؤالٌ عن الإنفاق.
الآيةُ السابعةُ بعدَ العاشرة بعدَ المئتين بعد البسملة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ إلى آخر الآية..
في الآيةِ التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ المئتين بعد البسملة هُناكَ سُؤالان، السؤال الأول: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾.
في الآيةِ العشرين بعد المئتين بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**﴾، إلى آخر الآية، سُؤالٌ عن اليتامى.
في الآيةِ الثانية والعشرين بعدَ المئتين بعدَ البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ**﴾، إلى آخرِ الآية..
في سورةِ المائدة، الآيةِ الرابعة بعد البسملة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾، إلى آخر الآية..
في سورةِ الأعراف، الآيةِ السابعة والثمانين بعدَ المئة بعدَ البسملَة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾، إلى آخر الآية.
هذا السؤالُ أيضاً جاء في سورة النازعات، الآيةِ الثانية والأربعين بعدَ البسملة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا**﴾.
في سورةِ الأنفال، الآيةِ الأولى بعدَ البسملة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأنفَالُ للّهِ وَالرَّسُولِ**﴾، إلى آخرِ الآية..
في سورةِ الإسراء، الآيةِ الخامسة والثمانين بعدَ البسملة: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾.
في سورةِ الكهف، الآيةِ الثالثة والثمانين بعدَ البسملة: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً**﴾..
في سورةِ طه، الآيةِ الخامسةِ بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً**﴾ - في أحوالِ وشُؤونِ وإرهاصاتِ وأشراطِ يوم القيامة - ﴿**فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً**﴾.
هذه أسئلةُ الصَّحابَةِ الَّتي حَدَّثنا عنها القُرآن، كُلُّ أسئلَتهم هي هذه، عندَهُم النَّبيّ الأعظم، وعندَهُم القُرآنُ العَظيم وهذا هُو النَّبيّ الخاتَم هذا سَيِّدُ الكائنات بإمكانه أن يُجيبهم على كُلِّ سُؤال لكنَّهم لم يسألوا، هَذا هُو مستوى أَسئلَتهم، هذه المسائلُ الَّتي سَألُوها والَّتي كانت مَثاراً لاهتمامهم، عددٌ قليلٌ من الأسئلة، لم يَسألُوا عن حقائق الغَيب، لم يَسألوا عن حقائق القُرآن، إنَّها مرحلةُ التَّنزيل، هؤلاء أعرابٌ المستوى الثقافيُّ والفكريُّ والعَقليُّ لَديهم محدودٌ جِدّاً، أُناسٌ بدو، ليسَ انتقاصاً من البدو لكنَّ البدوي مُفرداتُ عقلهِ مَحدُودةٌ، مستوى فِكرهِ هابطٌ، هكذا نَشأ، وهكذا تَعلَّمَ، وهكذا تَربَّى، إنَّها طبيعةُ الحياة الَّتي عاشَها،

المفرداتُ الَّتي في ذاكرته وحافظته هي الَّتي تُكَوِّنُ شَخصيَّتهُ، فهل يُعْقَلُ أنَّ أُناساً بهذا المستوى هُم الَّذينَ سيحفظونَ القرآنَ لنا وسَيُبَيِّنون لنا حقائقَ القرآن؟! وهل أنَّ النَّبي سيتركُ الأجيالَ القادمة من البشر تحت رَحمة هؤلاء الَّذينَ مُستواهُم العقليّ محدودٌ جداً؟!

من دُونِ الخوضِ في التفاصيلِ الجزئيَّة للآيات، ومن دُونِ ذكرِ الوقائعِ التأريخيَّة الَّتي حدثت على الأرض، وإنَّما أقرأُ الآيات وأُوَجِّهُ النَّظرَ إلى الجهة الإجماليَّة الَّتي تُخبِرنا عن ذَمِّ القُرآنِ للصَّحابة وعن طاعتهم للشَّيطان، فإنَّ قَوماً هذه أوصافُهُم لا يُمكنُ أن يكونوا حافِظينَ لدين النَّبي ولقُرآنِ النَّبي، لابُدَّ أن يكونَ في الأمَّة مَن هُو في نَفسِ مستوى النَّبي كي يكونَ حافظاً للدِّينِ وحافظاً للقُرآن.

في الآيةِ الثانية والخمسين بعد المئة بعد البسملة من سورة آل عمران وما بعدها من الآيات: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ** - هذا الخطابُ للمُسلمين للصَّحابة - **إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾، هؤلاء لا يُمكنُ أن يُستأمَنوا على الدِّينِ ولا يُمكنُ أن يُستأمَنوا على القُرآنِ وأسراره.

- **إِذْ تُصْعِدُونَ** - الآياتُ تُخبِرنا عن فرارِ الصَّحابة بأجمعهم في واقعة أُحد، تركوا رسولَ الله وحدَهُ في الميدان - **وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ** - ولكنَّكُم لا تَستجيبون - **فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** - هؤلاء كيفَ يُوثَقُ فيهم؟ هؤلاء سيتعرضونَ لظُروف قد تكونُ أقسى من هذا الظرف فكيفَ يُستأمَنونَ على الدِّينِ وعلى كتاب الله؟ إذا كانوا مع رسول الله هذا حالُهم بعدَ رسولَ الله ماذا سَيفعلون؟!

- **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً** - هذا بعدَ أن رَجعوا إلى رسول الله بعدَ انتهاء المعركة، هذه الواقعةُ فيها تفصيلٌ لتمييز المنافقينَ من غَيرهم - **يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** - فَكيفَ يُوثَقُ بهؤلاء؟! - **يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ۞ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ**﴾، الَّذينَ فَرّوا في يومِ أُحد الصَّحابةُ بأجمعهم، لم يبقى إلَّا عليٌّ ولذا نادى جبرائيل بينَ السَّماء والأرض: "لَا فَتى إِلَّا عَلِيٌّ وَلَا سَيف إِلَّا ذُو الفَقَار".

هل يستطيعُ أحدٌ منَ السُنَّة أن يُطَبِّقَ الآيات هذه على عليِّ بنِ أبي طالب؟!

- **وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾، هؤلاء لا يُوثَقُ بهم، لكنَّ الَّذي لم يَكُن ضمنَ هذه الآيات هذا شَخصٌ يوثقُ به الَّذي بَقيَ معَ رسولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله في يومِ أُحد عليٌّ، بعدَ ذَلكَ التحقَ أبو دجانة الأنصاري، أبو دجانة الأنصاري هو أوَّل الراجعين وإلَّا فإنَّ أبا دجانة الأنصاري هُو الآخَرُ فَرَّ من ساحة المعركة لكنَّهُ رجعَ بعدَ ذلك، عليٌّ هو الَّذي أدارَ رَحاها، أبو دجانة قَاتَلَ وقُتل، الَّذي بَقي مُحامياً ومُحافظاً وحارساً وكاشفاً للكُربات عن وجه رسولِ اللّه عليّ هذا الَّذي يُوثَقُ به، هذا الَّذي يُمكنُ أن يَكُونَ حافظاً للدِّين، وحافظاً لأسرارِ رسول الله، وحافظاً لكتابِ رَسول اللّه من بَعدِ رسولِ اللّه هذا هُو..

في سُورة التوبة، الآيةِ الخامسة والعشرين وما بعدها: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ** - عَلى يَدِ مَن؟ على يدِ أميرِها، هكذا كانَ يقولُ رسولُ اللّه حينَ يُنادي أميرَ الأُمراء أميرَ المؤمنين؛ أينَ كَاشفُ الكُربات عَن وَجهي؟! كَاشفُ الكُربات عن وَجهِ مُحَمَّد المصطفى عَليٍّ المرتضى صَلَّى اللّهُ عَليهما وآلهما، هل يستطيعُ أحدٌ أن يُكَذِّبني؟ أتحدَّثُ عن عالمٍ سُنِّي مُنصف - **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً** - لقد فَروا، إنَّهم فَرّارون، ولذا فإنَّ رسولَ اللّه وَصَفَ عَلياً بأنَّهُ كَرّارٌ غَيرُ فَرّار لأنَّ القومَ فَرّارُون - **وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ۞ **ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** - عَليٌّ هُو سَيِّدُهُم سَيِّدُ المؤمنين، الآيةُ المتقدِّمةُ عَليٌّ لَيسَ فيها - **وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ**﴾ عَليٌّ هُنا، عليٌّ في كُلِّ آيةٍ فيها مَدْح، الصَّحابةُ في كُلِّ آيات الذَّمِّ موجودون، علي لَيسَ موجوداً هُناك، هذا هو الَّذي مودَّتهُ واجبةٌ، وهذا هو الَّذي مودَّتهُ أجرٌ لمُحمَّد وأجرٌ لرسالته صَلَّى اللّهُ عَليه وآله، هذا هُو القُربى..

في سورة التوبة، الآيةِ التاسعة والخمسين: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** - هل عليٌ هنا؟! لا يستطيعُ عالمٌ سُنِّيٌ مُنصفٌ أن يقولَ بأنَّ عَلياً هُنا، لكنَّ الصَّحابةَ هُنا، أنا لا أتحدَّثُ عن أنَّ كُلَّ الصَّحابة هُنا، قد يكونُ البعضُ هُنا والبعضُ هُناك، إنَّني أتحدَّثُ عن جهات الذَّمِّ والقَدحِ الَّتي ذكرها القرآنُ بخُصوص الصَّحابة بنحوٍ عام - **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ من فَضْلِه وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّه رَاغِبُونَ** - عليٌ لا يَنطَبِقُ عليه هذا الكلام - **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ** - الحديثُ عن علي هُنا، لكنَّ عَلياً لا يُؤذي رسولَ اللّه، لَن يَكُونَ من هؤلاء الَّذينَ يؤذُونَ النَّبي - **قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ** - إلى آخرِ الآية، والآيةُ تُختَم: **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّه لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، قطعاً هذا المضمونُ يَنطَبِقُ على جمعٍ كبيرٍ منَ الصَّحابة، لكن هَل يَنطَبِقُ على علي؟ لا يَنطَبِقُ على علي، ولن يستطيعَ عالمٌ سُنِّيٌ مُنصفٌ أن يُكَذِّبني في هذا.

في سورة التوبة، الآيةِ الحاديةِ والثمانين وما بعدها: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ** - إنَّها تبوك حيثُ قالَ رسولُ اللّه لأمير المؤمنين حينما أبقاهُ في المدينة، قالَ لهُ القولَةَ الشهيرةَ المعروفةَ المرويَّةَ في كُتُب السُنَّة وفي كُتُب الشيعة: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)، مُحَمَّدٌ هكذا قالَ لعليٍّ، وهذا هُو مَنطقُ القُرآن، أمَّا القُرآنُ ماذا يتحدَّثُ عن الصَّحابة في الوقت نَفسه؟ كَانَ القُرآنُ يَتحدَّثُ عَن الصَّحابة: **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ** ۞ **فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً** - هؤلاء الصَّحابَة - **وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ۞ **فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ** ۞ **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِه إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِه وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ** ۞ **وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾، إلى آخرِ الآيات الَّتي هيَ في نَفسِ هذا السياق، جُموعٌ منَ الصَّحابة تَنطَبِقُ هذه الآياتُ عليهم، قطعاً القُربى لَيسَ هنا قطعاً، علي لَيس هُنا قطعاً، لا يستطيعُ عالمٌ سُنِّيٌ مُنصفٌ أن يردَّ عَلَيَّ كلامي هذا.

في الآيةِ التاسعة بعدَ البسملة من سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** - الخطابُ لكُلِّ الصَّحابة - **اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً** ۞ **إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾، عليٌ لا يَنطبقُ عليه هذا الكلام، عليٌ هو الَّذي حينَ برزَ في واقعة الأحزاب هكذا قالَ رسولُ الله: (بَرَزَ الإِيمَانُ كُلُّه إِلَى الشِّرْكِ كُلِّه)، هذا هُو الإيمانُ كُلُّه، لا يستطيعُ أحدٌ أن يُكَذِّبني إذا كانَ على علمٍ وإنصاف منَ السُنَّة أو من غَيرِهم.

- **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ** - الصَّحابةُ بأجمعهم - **وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾، عَليٌ لَيس داخلاً في هذا - **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً** - الكثيرُ منَ الصَّحابَة قالوا هذا الكلام - **وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ** - كَذَّابُون يُريدونَ الفِرار - **وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً** ۞ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً**

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً ﴾، ولكنَّ الَّذي حَدثَ وجرى على أرض الواقع خِيانةٌ لِهذهِ العهود والمواثيق، الَّذي وفي هُوَ ذَلكَ الكَرّارُ غَيرُ الفَرّارِ يستثنى في كُلِّ هذه الوقائع..

عليّ هو هَذا الَّذي تتحدَّثُ الآيةُ الخامسةُ والعشرون بعدَ البسملة من سورة الأحزاب عنه: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾، كفى اللّهُ المؤمنينَ القتالَ بِعَلِيٍ، وهذا المضمونُ موجودٌ في كُتُبِ السُنَّة وفي كُتُبَ الشيعة: (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ بِعَلِيٍ)، وحتَّى لو لم يَكُن الواقعُ يشهدُ بهذا، المجرياتُ الَّتي جرتَ على الأرض كُلُّها تَشهدُ بهذه الحقيقة، إنَّهُ القُربى، مجموعة القُربى الَّتي ما ذُمَّت، الصَّحابَةُ مُدحوا وذُمّوا، نِساءُ النَّبي مُدحنَ وذُممن، القُربى هي الَّتي مُدحَت وما ذُمَّت في كُلِّ الكتاب الكريم.

في سورةِ الأحزابِ، الآيةِ الثالثةِ والخمسين بعد البسملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ - هؤلاء كانوا يُؤذُونَ رسولَ اللّه، الحديثُ عن الصّحابة، عليٍ ليس هنا - إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ - كانوا يذهبونَ في وقتٍ لَيسَ مُناسباً، هؤلاء لا يعرفونَ اللياقة ولا أدبَ التعامُلِ معَ رسولِ اللّه ومعَ زوجاتِ رَسولِ اللّه، ولذا فإنَّهُم كانوا يُؤذُونَ رسولَ اللّه، كيفَ يُوثَقُ بهؤلاء؟ كيفَ يكونُ هؤلاء أمناءَ على الأمَّة؟ أمناءَ على الدِّين؟ أمناءَ على أسرارِ القُرآن؟! لا يُمكنُ أن يُقبَلَ هذا الكلام - وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾، يُؤذُونَ رسولَ اللّه.

في السورةِ نفسها في الآيةِ السابعةِ والخمسين بعد البسملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾، هؤلاء كانوا يذهبونَ مُستأنسينَ لحديثٍ يُريدونَ أن يأكلوا طعاماً فكانوا يُؤذُونَ رسولَ اللّه ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾، اللّهُ هُوَ الَّذي يتحدَّثُ عن هذه الحقيقة، فماذا سيقولُ اللّه عن أذيَّة رَسولِ اللّه حينما حَملَ الصَّحابةُ الحطبَ لإحراقِ فَاطمة؟! وبغضِّ النَّظرِ عن هذه المضامين الشيعيّة والَّتي آثارُها ودلائلُها موجودةٌ في المكتبةِ السُنيّة، هذهِ الآياتُ تتحدَّثُ عن أنَّ الصَّحابَة كانوا يُؤذُونَ رسولَ اللّه إلى الحدِ الَّذي يلعَنُهم القُرآن، هذا الكلامُ ليسَ عن النصارى وليسَ عن اليهود وليسَ عن البوذيّين، هذا الكلامُ في سياقِ الحديثِ عن الصَّحابة، إلى الحدِ الَّذي سيلعَنُونَ بِسببِ إيذائِهِم لِرسولِ اللّه إنْ كانَ ذلكَ في حياتِه أو بعدَ استشهادِه صَلَّى اللّهُ عليه وآله، هؤلاء لا يملكونَ أدنى مستوياتِ الأدبِ كيفَ يُوثَقُ بِهم أن يَكُونُوا أُمناءَ على حقائقِ القرآن أن يَكُونُوا أُمناءَ على الدِّين؟!

في سورةِ الحجرات، سورة الحجرات في أبي بكرٍ وعُمَر بحسبِ صحيح البخاري: (كَاد الخَيّران أن يهلكا أبو بكرٍ وعُمر)، الآياتُ شديدةٌ وهي تتحدَّثُ عن كبارِ الصّحابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - إنَّهم لا يُحسنونَ الأدب، لا يُحسنونَ مُعاملة رسول اللّه - وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ - أدنى مستويات الأدب لم تَكُن متوفِّرَةً فيهم كيفَ يَكُونُونَ أُمناءَ على الأُمَّة؟! - إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ - هؤلاء أمثالُ سلمان وأمثالُ المقداد وأمثالُ أبي ذَرّ - إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ من وَرَاء الْحُجُرَاتِ - منَ الصَّحابَة - أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ - الصَّحابةُ أكثرُهم لا يعقلون - وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا - هذا الفاسقُ منَ الصّحابة، السِّياقُ هُوَ هُوَ - أن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، القرآنُ حدَّثنا عن الصَّحابةِ كثيراً وفَضَحهم وكَشفَ عُيوبَهم.

سورةُ النور هل هُناكَ من قَباحةٍ أقبحَ ممَّا جاء في حديثِ الإفك؟!

- بحسبِ الروايةِ السُنيّة فإنَّ الصَّحابة اتَّهموا عائشة بالزنا مع صفوان بن المعطّل بحسبِ الروايةِ السُنيّة.

- في الروايةِ الشيعيَّةِ فإنَّ عائشة هي الَّتي اتَّهمت السيّدة ماريةَ أُمَّ إبراهيم اتَّهمتها بالزنا مع جُريجٍ الَّذي كان خادماً لها وجاء معها من مصر.

بحسبِ الروايةِ السنيّة فإنَّ الصَّحابَة هُم الَّذينَ اتّهموا عائشة بأنَّها قد زَنت بأنَّها زانية، هذا هُوَ حالُ الصَّحابة كيفَ يُوثَقُ بهم؟!

الآياتُ واضحةٌ جداً في أنَّ هؤلاء لا يُوثَقُ بِهم، هذهِ المجموعةُ الأولى الصَّحابةُ مثلما مُدحت ذُمَّت وهذهِ صُورٌ من ذَمِّ القُرآنِ لهؤلاء الصَّحابة.

• المجموعةُ الثانية: نساءُ النَّبي.

في الآيةِ الثلاثين بعدَ البسملة من سورة الأحزاب: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾، والفاحشةُ الزِّنا، فهذا الإمكانُ واضحٌ في الآيةِ يُمكنُ أنَّ نساءَ النَّبي يصدرُ منهنَّ هذا الأمر، لو كانَ هَذا الأمرُ لا يُمكنُ أن يصدُرَ منهنَّ لكانَ ذِكرهُ منَ اللَّغو، لَكانَ ذكرهُ خلافَ الحكمة، لَمَا تَحدَّث القُرآنُ عنه،

ويُؤيّدُ هذا الكلام ما جاء في الآيةِ الثالثة والخمسين بعد البسملة من سورة الأحزاب، الخطابُ معَ الصَّحابة كيفَ يتعاملونَ معَ نساء النَّبي: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ من وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾، فَمثلما هُناكَ إشكالٌ قد يَقعُ بالنِّسبةِ للصَّحابة فَهُناكَ إشكالٌ قد يقعُ بالنسبةِ لنساء النَّبي الكلامُ هُوَ هُوَ، فَمثلما الصَّحابةُ يَصدرُ عَنهُم ما يصدر من الفواحش، فَإنَّ نساء النَّبي يصدرُ عَنهنَّ ما يصدرُ منَ الفواحش، ولذا فإنَّ الآية ساوتَ بينَ الاثنين، بينما لن تَجدوا آيةً في القرآنِ تُساوي بينَ الصَّحابةِ والقُربى أو بينَ نساء النَّبي والقُربى..

أمَّا سورةُ التحريم فهي واضحةٌ جداً، والخطابُ وبحسبِ البُخاري والروايةُ فيه عن عُمر بنِ الخطّاب في أنَّ سورة التحريم في عائشة وحفصة، الخطابُ في الآيةِ الرابعة بعد البسملة من سورة التحريم مُوجَّهٌ إلى عائشة وحفصة: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا - لقد مَالَت قُلُوبُكُما عن الهدى - وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ - على رسول اللّه - فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، هُناكَ أمرٌ كبيرٌ في هذه السورة، المقامُ ليسَ مَقاماً لشرحِها وتفسيرِها، القضيَّةُ لا كما يقولون من أنَّها أمرٌ نسائيٌ فيما بينَ النساء، هذهِ قضيَّةٌ كبيرةٌ، هذه ترتبطُ بِقتلِ رسول اللّه، وترتبطُ بالصَّحيفةِ المشؤومةِ وما تَمَّ تَنفيذهُ في سقيفةِ بني ساعدة، حكايةٌ مُفصَّلةٌ هذه..

- عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً - هذا يعني أنَّ نساءَ النَّبي اللَّاتي خُوطِبنَ في هذه السورة لا تتوفَّر هذهِ المواصفاتُ فيهن..

وفي الآيةِ العاشرة بعدَ البسملةِ من سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا - ما هُو هذا المَثَل؟ جاء المَثَلُ بزوجتينِ من زوجاتِ الأنبياء - امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾، السورةُ ضربت مَثَلاً للَّذينَ كَفَروا، فزوجةُ نُوح كافرة، وزوجةُ لوطَ كافرة، وفي رواياتنا: "فَخَانَتَاهُمَا"؛ أحاديثُ العترةِ المرادُ منَ الخيانة الزِّنا الفاحشة، بغضِّ النَّظرِ عن أحاديث الشيعة، وبغضِّ النَّظرِ عن أحاديث السُنَّة فإنَّ سورة التحريم واضحةٌ، في بيانِ القبائحِ والمطاعنِ لِبعضِ نساءِ النَّبي، واضحةٌ هي الآياتُ الَّتي قَدحت في الصَّحابةِ وواضحةٌ هي الآياتُ الَّتي قَدحت في نساءِ النَّبي.

في سورة الجمعة لقطةٌ مشينةٌ للصَّحابة ولا نستطيعُ أن نُبعدَ نساء النَّبي عن هذه الأوضاع، لكنَّ المسلمات كُنَّ يحضرنَ صلاة الجماعة ويحضرنَ كذلكَ صَلاة الجُمُعة، في سورة الجمعة وفي آخرِ آيةٍ منها إنَّها الآيةُ الحاديةُ بعدَ العاشرةِ بعدَ البسملة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً - الصَّحابةُ يُصلُّونَ خَلفَ رسول اللّه، والنَّبي

قَائمٌ يَخطبُ فيهم - **انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً**﴾، يَتركُونَ رسولَ اللّه في المسجد وهُم يخرجونَ لتلقّي القوافل التجاريّة للتفَرّج على رَقص الرّاقصينَ منَ العَبيد والسُودانَ، هؤلاء كَيفَ يُوثَقُ بِهم؟! في رواياتنا الشيعيَّة لم يبقَ مع رسول اللّه في بعض الجُمَع إلَّا أمير المؤمنين إلَّا عليّ، وفي بعض الجُمَع كانت هُناكَ فَاطمَةَ حاضرةً فَبَقيت مَع عليٍ معَ بعضٍ منَ الهاشميّين معَ سلَمان وأبي ذَرّ والمقداد، صحيحٌ في الروايات السُنيّة يذكرونَ أن أبا بكرٍ وعُمَر في العدد القليل الَّذينَ بَقُوا في المسجد، لكن في الروايات الشيعيّة لا ذكرَ لأبي بَكرٍ وعُمَر، وبغضِّ النَّظرِ عن الرواياتِ السُنيّةِ وعن الروايات الشيعيّة فإنَّ الآيةَ واضحةٌ تَرسِمُ لنا صُورةً قبيحةً عن الصَّحابة، يتركونَ رسولَ اللّه قائماً، ألا تُلاحظونَ أنَّ القومَ ليسوا على أدنى مُستوىً من مستويات الأدب؟!

الموقِفُ نفسهُ هو الَّذي صَدرَ عنهُم في رزيّة الخميس وبطلُ المشهد في رزيّة الخميس عُمرَ بنُ الخطّاب..

هذا واقعُ الصَّحابةِ وواقعُ نِساء النَّبي.